مجلة الميدان للعلوم الانسانية والاجتماعية
المجلد05 / العـــدد: 03(2022)، ص.57-49

تاريخ الاستلام: 16/11/2019.تاريخ القبول: 29/11/2019

النّقد اللّغوي في الخطاب الأدبي عند إبراهيم الحصري في كتابه" زهر الآداب"

Criticism of the literary discourse at Ibrahim Al-Husari in his book "Zahr al-Adab"

د.عبد الكريم محمودي
أستاذ محاضر.
جامعة الجزائر 2
mahmoudi.abdelkrim80@gmail.com

ملخص:

عالج إبراهيم الحصري في كتابه" زهر الآداب" أبعاد الخطاب الأدبي، و ما يتعلق ببعض القضايا الأدبية متبوعا ببعض القضايا النقدية التي انتهجها من أجل إثراء هذا الأدب العربي، حاولنا أن نتناول بعض أبعاد نقد الخطاب وفق منظور (الحصري) بالدراسة و التحليل و المناقشة، وضرب الأمثلة بالتركيز على : اللفظ و الدلالة ، نقد الشكل الأدبي، السرقات الأدبية، معتمدا على المنهج التحليلي الوصفي، وانطلاقا من الاشكالية: كيف نقد الحصري اللغة في النص الأدبي في كتابه " زهر الآداب " ؟

الكلمات المفاتيح: النقد، النص، اللغة، الأدب، الحصري، زهر الألباب.

ملخص باللغة الانجليزية:

In his book "The Dawn of Literature", Ibrahim Al-Hussari addressed the dimensions of the literary discourse and some of the literary issues followed by some of the critical issues he has pursued in order to enrich this Arabic literature. We tried to address some of the dimensions of discourse criticism according to the (exclusive) perspective of study, analysis, Examples include: pronunciation and semantics, criticism of literary form, literary thefts.

الكلمات المفاتيح باللغة الانجليزية:

discourse. Ibrahim Al-Husari. the literary. Zahr al-Adab.book.Zahr-Adab.Criticism.

المؤلف المرسل: ب

.

مقدمة:

تناول إبراهيم الحصري القيرواني في كتابه "زهر الآداب وثمر الألباب "عدة قضايا أدبية و نقدية وبلاغية من بينها الشكل والدّلالة ،الطبع و الصنعة السرقات الأدبية ودعّمها بأمثلة شعرية كثيرة وأقوال سابقيه من أجل الفهم الواسع للمتلقي اتجاه هذه القضايا، هذا بالتحليل و الدراسة و المناقشة، نحلل في هذا المقال بعض أراء الحصري فيما يخص نقد الخطاب الأبي و قضاياه الأدبية.

2 ـ الشكل و الدّلالة عند الحصري :

يقول إبراهيم الحصري: " قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني :المعاني القائمة في صدور النّاس،المختلفة في نفوسهم والمتصورة في أذهانهم المتصلة بخواطرهم ،والحادثة عن فكرهم مستورةً خفيةً، وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجود في معنى معدومة ..."[1]

يسير الحصري على خطى الجاحظ لأنّه اقتبس هذا التعريف من كتابه بعنوان (البيان والتبيين) فهو يبدو من هذا أنّه يحفل باللّفظ دون المعنى ،أي أنه من أنصار المدرسة اللفظية حيث يقول :"وعلى قدر وضوح الدلالة ،وصواب الإشارة وحُسنُ الاختصار ودقة المدخل، يكون ظهور المعنى ،وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبيّن وأنور كانت أنفع وأنجع في البيان ،والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت إليه يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه بذلك نطق القرآن،وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم."[2]

وقد تعرض "زهر الآداب و ثمر الألباب" لبعض مقاييس اللّفظ فذكر أنّ العماني أنشد الرشيد يصف فرسا : **" كأنّ أُذُنَيْهِ إذَا تَشَوفَا قَادِمَةً أوْ قَلَمًا مُحَرّفَا**

ولحن،ففهم ذلك أكثرُ من حضر،فقال الرشيد:اجعل مكان "كأنّ"(تخال) فعجبوا لسرعة تهديّه."[3]أي أنه شبه أذنيه بقلم محرف.

وقال أبو الطيبّ:

" تَخَالَفَ النّاسُ حَتَى لا اِتِفَاقَ لَهُمْ إلاّ عَلَى شَجَبِ وَ الخُلفُ فِي الشّجَبِ

قال الحصري : الشجب الموت ، وهي لفظة معروفة،وإن كانت غير مألوفة عند أهل النقد ."[4] فمقياس الاستهجان هنا الغرابة فهذه الأخيرة مقياس من مقاييس نقد اللّفظ، فاللّفظة الوحشية تعيب على النّص الأدبي من حيث الفهم الذي تُعيقه عكس اللّفظة المألوفة.

ويبين أحد الباحثين بأن "الحشو الذي يفسد المعنى من عيوب اللّفظ :ألا ترى أن كلمة خيزران (في عرف النّاس) تعني عصا خيزران ،فإيراد كلمة عصا حشو ولكنّه أحياناً يفسد المعنى وينقصّه ،ذلك أن الحشو إذا لم يضر كان ممقوتاً في البديع ،ولكنه إذا ضرَّ كان ممقوتاً في علم البديع والمعاني ،وهذا ما لاحظه بشار عندما سمع قول كثير:

أَلا إنّمَا لَيلَى عَصَا خَيْزَرَانَةٍ إذَا غَمَزُوهَا بِالأَكَفّ تَلِينُ

وأرى أن خيزران توحي بالنحافة من كلمة عصا وبالتثني من كلمة خيزران ،إلاّ أنّ الإيحاء بالنحافة يفسد المعنى ،أما كلمة خيزران فتوحي بالتثني فحسب. "[5]

فالحشو لا فائدة منه في التعبير لأنّه يمكن إسقاطه إلاّ في بعض الأحيان :حيث قسم الحشو إلى قسمين : "حشو مفيد وغير مفيد وضرب لكليهما أنّ كل كلمة وقعت هذا الموقع من التأليف فلا تخلو من قسمين :مثلاً إما أن تكون أثرت في الكلام تأثيراً لولاها لم يكن يؤثر أو لم تؤثر بل دخولها فيه كخروجها منه، وإن كانت مؤثرة فهي على ضربين أحدهما أن تفيد فائدة مختارة يزداد بها الكلام حسناً وطلاوةً ،والآخر أن يؤثر في الكلام نقصاً و في المعنى فساداً والقسمان مذمومان والأخر هو المحمود. "[6]

يتبين من هذا القول أنّ :عملية الحشو في النّص الأدبي لا يمكن أن نحكم عليها من البداية بالسلبية ،فالكلمات أوالعبارات التي وجودها في هذا النّص تشبه غيابها، فهذا حشو سلبي على المبدع أن يتجنبه لأنّه يحدث ركاكة في التعبير ومملا للمتلقي،

بكثرة هذه العبارات والتراكيب التي لا يحتاجها القارئ أما الضرب الثاني فهو الحشو الذي يزين ويحسن المعنى فهذا محمود ومقبول في الإبداع الأدبي،أي يدخل ضمن أسلوبية النّص حيث نزين النّص انطلاقاً من مكوناته وعلاقاته.

فمثال الكلمة التي تقع حشواً و تفيد معنىً حسناً قول أبي الطيب:

"وَتَحْتَقِرُ الدُنيَا احْتقَارَ مُجَرَّبِ يَرَى كُلُ مَا فِيهَا وَ حَاشَاكَ فَانِيَا.

يقول : لأنّ حاشاك . هاهنا لفظة لم تدخل إلا لكمال الوزن :لأنك إذا قلت احتقار مجرب يرى كل ما فيها فانياً كان كلاماً صحيحاً مستقيمًا، فقد أفادت مع إصلاح الوزن دعاءً حسناً للممدوح في موضعه ."[7]

وأما الحشو غير المفيد فقد مثل له بقوله : " أما مثال الكلمة التي تقع حشواً وتؤثر في المعنى نقصاً و في الغرض فساداً كقول أبي الطيب يمدح كافوراً :

ترعْـرَعَ المَلِكُ الأُسْتَاذُ مُكْتَهِلاً قَبْلَ اكتِهَالِ أديباً قَبْلَ تَأدِيب

لأن قوله الأستاذ . بعد الملك . نقص له كبير،وبيّن تسميته له بالملك والأستاذ فرق واضح فالأستاذ قد وقع هنا حشواً ونقص به المعنى إذ كان الغرض في المدح تفخيم أحوال الممدوح وتعظيم شأنّه ،لا تحقيره وتصغير أمره. "[8]

ومن عيوب اللفظ القلق فيه : ذكر الحصري عن إسحاق الموصلي أنّه قال :

"وَكُلُّ مُسَافِر يَشْتَاقُ يَوْمًـا إذَا دَنَتِ الدّيَـارُ مِنَ الدَّيَـارِ

قال الحصري:فعابوا قوله : يوما ،وقالوا هي لفظة قلقة في هذا الموضع لم تحل بمركزها، ولا لها هنا موقع ،قال:فضعوا مكانها مثلها لا خيراً منها ،فما استطاعوا ذلك فغيرها إلى ما أنشدت أولا وهو يعني بما أنشده أولا قوله :

وَكُلُ مُسَافِر يَزْدَادُ شَوْقاً إذَا دَنَتِ الدّيَارُ مِنَ الدّيَارِ"[9]

ونقصد باللّفظة القلقة هي التي لا نضعها في مكانها المناسب أي تصبح غير منسجمة مع أخواتها فيحدث تنافر وقلق بالنسبة لها،فكأنّها لا تقبل مجاورة الكلمات التي وضعناها بينها، فهذه اللّفظة القلقة هي من عيوب اللّفظ عند الحصري نتيجتها أنّها تفسد المعنى.

ومن عيوب اللّفظ الخطأ اللّغوي ونقصد به العدول عن قواعد اللّغة العربية، وارتكاب الأخطاء الإملائية والصرفية والنحوية، فهذه الأخطاء تفسد اللّفظ والمعنى لأنّ الجانب الشكلي مهم في الكتابة العربية، فسبب الخطأ اللّغوي يتغير المعنى الذي لم يقصده الكاتب فيصبح المبدع يقصد شيئا وكتابته تقصد شيئا آخر،فهذه مشكلة الخطأ و اللحن ولقد "نشطت حركة التصحيح اللّغوي عند القدماء مع دخول الأعاجم في الإسلام إذا لم يعد الخروج عن القاعدة اللغوية (اللّحن) ناتجاً عن التطور اللّغوي الطبيعي للّغة، بل أصبح مرتبطاً بعامل آخر هو اختلاط الألسنة غير العربية باللسان العربي مما يولد أشكالاً كثيرة من اللّحن لم تكن اللّغة العربية تعرفها لولا دخول غير العرب تحت الحكم الإسلامي."[10]

ولم ينقطع اللّحن في اللّغة إلى يومنا هذا فالحصري يعده من عيوب الألفاظ قال:" ابن الرُّومي:

مُتَاحٌ لَهُ مِقْدَارُهُ فَكَأنّمَا تُفَوِضُ ثَهْلانُ عَلَيْهِ وَضَدَدُ[11]

قال الصوني:افتتح ابن الرومي هذه القصيدة على ما يلزم من فتح ما قبل حرف الروي اقتداراً فحمله ذلك على أن قال : صدّهُ وهذا لا يصحُ ، إنّما هو صدّد بكسر الدّال، لأنّه فعلا لم يجئ إلا في أربعة أحرف: درهم هجرع للأحمق، تبلغ للذي يبلغ كثيراً، وقلعم للذي يقلع الأشياء."[12]

3 ـ مقاييس نقـد الشّكـل عند الحصري:

3 ـ1ـ المقياس الديني:

عندما ذكر قول ابن الرومي في المدح:

أَحَاطَ عِلْماً بِكُلّ خَافِيَةٍ كَأنّمَا الأَرْضُ فِي يَدِهِ كُرَهْ

وصفه بالإفراط ،ويقول بئس الإفراط الذي يؤدي إلى الكفر، وسوء الأدب مع رب العالمين سبحانه."[13] فهنا يُنقد الشعر معنوياً بإسقاطه على تعاليم الدين فما وافقه قُبل وما لم يُوافقه رُفض ومن "النقد الذي يتصل بالدين والأخلاق ،فيمثل هذا الاتجاه حركة الخوارج كظاهرة جديدة في المجتمع العراقي يغلب عليها الطابع الإسلامي، فكانت أغراضهم الشعرية تقتصر على

الاعتزاز بالنفس والتعبير عن عواطفهم الدينية الداعية إلى الأخلاق والفضائل، ونراها في هذا الاتجاه تُخالف اتجاهات الشعرعند أهل الحجاز وعند أهل العراق كشعراء النقائض،وتتفق في نفس الوقت مع الاتجاه الشعري في صدر الإسلام."[14]

أي أن الشعر الحسن والمفضل عند الحصري هو الذي يتوافق مع تعاليم الدين الإسلامي ولا يناقضها بل يدعو إلى إصلاح النفس وتربيتها.

2.3ـ مقياس استيفاء المعنى:

أن يكون مستوفيا ومن ظواهر استيفاء المعنى:

أ- ذكر علة أو علل "لغرض من الأغراض غفل عنها الأدباء في تناول ذلك الغرض،ومن تلك الأغراض التشوق إلى الوطن، حيث نقل الحصري زعم بعض الأدباء أنّ النّاس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون علة هذا التشوق حتى أوضحها ابن الرومي في كافيته التي منها:

فَقَدْ أَلِفَتْهُ النّفْسُ حَتَى كَأنّهُ لَهَا جَسَدٌ إنْ بَانَ غُودِرْتُ هَالِكَا

فهذا تشوق للوطن دون ذكر العلة.

فما هي علة هذه الأشواق ؟ ... هذا ما يعللّه ابن الرُّومي بهذا البيت وما يليه :

عَهِدْتُ بِهِ شَرَخَ الشَبَابَ وَنِعْمَةً كَنِعْمَةِ قَوْم أَصْبَحُوا فِي ظِلاِلِكَا

فالعلل التي ذكرها ابن الرومي هي التي جعلته يستوفي المعنى وهذا ما كان الحصري يريد أن يقوله ،و(النصيبي) في ترجيحه لهذه القصيدة وتفضيلها لم يذكر سبباً غير استيفاء المعنى بذكر العلل،ولو أنّه قال :إنّ ابن الرومي أكثر تعليلاً لكان أدق في نظري."[15]ففهم العلل يزيد من فهم معاني الشعر على أحسن وجه.

ب . المبالغة :

وهي الدلالة على "كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللّغة لتلك الإبانة والمبالغة على وجوه منها المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة ،وذلك على أبنية كثيرة منها :فعلان،فعال، فعول، ومفعل ... والضرب الثاني المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة ... كقول القائل :أتاني النّاس، ولعله لا يكون أتاه (إلا) خمسة فاستكثرهم و بالغ في العبارة عنهم ... والضرب الثالث إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة كقول القائل:جاء الملكُ إذا جاءَ جيشٌ عظيم له."[16]

ويعلق الحصري على قول زهير:

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْه فَإنّمَا تَوَارَثَــهُ آبَـاءُ آبَائِـهِمْ قَبْلُ

سَعَى بَعْدَهُمْ قَومٌ لِكَيْ يُدْرِكُوهُمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يُلِيمُوا وَلَمْ يَأْلُو.[17]

قال بعض أهل العلم بالمعاني: " أعجب بقوله: (ولم يأتوا)،لأنّه لما ذكر السّعي بعدهم ،والتخلف عن بلوغ مساعيهم جاز أن يتوهم السامع أنّ ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ،فأخبر أنّهم لم يألُوا وأنّهم كانوا غير مقصرين وأنهم مع الاجتهاد في المتأخرين، ثم لم يرضَ بأن يجعل مجدهم طارفاً فيهم، ولا جديداً لديهم، حتى جعله إرثاً عن الآباء، يتوارثه سائرُ الأبناء، ثم لم يرضَ بأن يجعل مجدهم طارفاً فيهم، ولا جديداً لديهم، حتى جعله موروثاً عن آبائهم، وهذا لو تكلّفه متكلف في المنثور دون الموزونة لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار"[18]،فالتكلف أحيانا يزيد في بلاغة النص أما توظيفه في غير مكانه يفسد المعنى.

ومن شروط صحة المعنى أن يكون "صحيحاً في الواقع ولهذا انتقد كل الفرزدق وابن المعتز على ذي الرَّمة قوله:

أقَامَتْ بِهِ حَتَى ذَوِى العُودُ فِي الثَرَى وَسَاقَ الثُريَّا فِي مَلاءَتِهِ الفَجْرُ

وقالاَ :الصواب، ذوى العود والثرى ،لأن العود في الثرى لا يذوي."[19]فالمعنى يفضل أن يتطابق مع الواقع لهذا يكون له تأثير مميز في نفسية المتلقي

4 ـ مفهوم السرقات الأدبية عند الحصري:

السرقة يمكن تعريفا أنها: "احتيال أشياء المبدعين للإفادة من إبداع من تقدمهم من غير الإشارة إلى مبدعيه. "[20] ويدخل في مضمون السرقات الأدبية جانبان إما سرق الشكل أي اللّفظ أو سرقة المعنى ولقد حدث جدال حول هذه القضية فمنهم

مثلاَ من لم يعد سرق المعنى عيباً،وهناك من عده عيباً، فطرح النقاد القدماء" قضية السرقات الأدبية ،بل لقد انشغلوا بقضية السرقة وعرضوا لها في كثير من مؤلفاتهم، ضمن ما سموه (باب السرقة الأدبية) وألفوا مصنفات في هذا الباب لما للسرقات الأدبية من أولوية في عنايتهم فدرسوها مستوفية ،وحددوا لها أصولاً وقواعد وأغرقوا في تفصيلها وبحثها ووضعوها في مصطلحات عديدة، وهي متقاربة في الدلالة : منها الإغارة والسلب وغيرها من المصطلحات الكثيرة. "[21]

فهذه القضية اتخذت اتجاهات ومنها: " أناس يتسامحون في السرقة إذا كانت من سرقات المعاني ولا يبدون كبير تحفظ ولا يرون بها عيباً ،فالآمدي يذكر أنّ من أدركهم من أهل العلم بالشعر لا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء ،وخاصة المتأخرين منهم."[22]

ويقول الصاحب بن عباد:" فأما السرقة فما يعاب بها لاتفاق شعر الجاهلية والإسلام عليها."[23]

ويرى الجرجاني " أنّ المحدثين أبعد فيها من المذمة ،وأقرب إلى المعذرة ،لأنّ من تقدم قد استغرق المعاني ،وسبق إليها و أتى على معظمها ،ولم يترك للمحدثين إلاّ بقايا :إما أن تكون تركت رغبة عنها أو استهانة لها ،أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها ،وتعذر الوصول إليها. "[24]أي أن المحدثين برروا بعض السرقات بأن كل المعاني استهلكها القدماء من قبل.

أما " جمهور الأدباء . وهم متفقون على ذمّ السرقة . يرددون الأشعار التي قيلت في ذم السّرقة ثم هم مختلفون فيما يسمى سرقة، وما لا يسمى سرقة ما بين متشدد ومتسامح ومعتدل. "[25] فكل الجهود المبذولة حول السرقة تسعى إلى الحد منها واتكال المبدع عن نفسه و يبعد عنه العمليات النصية التي تتلاقى مع مفهوم السرقة.

وتكمن ظاهرة التشدد وتبدو في المؤلفات التي تكتب" عن سرقات شاعر معين تعصباً عليه كما كُتب عن سرقات أبي نواس والبحتري ،وأبي تمام وأبي الطيب. "[26] فالحصري عندما عالج قضية السرقات الأدبية في كتابه (زهر الآداب) لم يتناولها بصورة صريحة مثل (ابن رشيق القيرواني) حيث عمل في تحليله على تمييز الشاعر المبدع من المقلد،والشّاعر الذي ابتكر معان جديدة وغيره من الذين يكتبون في المعاني المتداولة بين الشعراء قديماً وحديثاً، ويؤكد هذا الكلام محمد مرتاض في قوله: " إنّ الحصري لا يتناول هذه القضية تناولاً صريحاً على غرار ابن رشيق ولا يؤسس نظرية يستند إليه الباحثون ولكنه يشير من غير تفصيل أو تبيين، ومع ذلك فإنّ الدارس يستشف آراءه من خلال ما يستعرضه، فالحصري استشهد بالمبدعين الأصليين ، وبالذين قلدُّوهم في المعاني ، ولكن من غير أن يبدي وجهة نظره بل اكتفى بالكشف عن التفرقة بين المبدع من المتطفل أو الأصيل من المقلّد ."[27]

ثم يعطي مثالاً على ذلك فيقول :"وأما قول أبي نواس:

إذَا نَحْنُ أثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِح فَأَنْتَ كَمَا نَثْنِي وَ فَوْقَ الذي نُثْنِي

فمن قول الخنساء:

فمَا بلغَ المَهْدُونَ للنّاس مَدْحهُ وإنْ أطنَبُوا إلاّ الذي فِيكَ أفضلُ

وَمَا بَلَغتْ كَفّ امْرئٍ مُتَنَاوِلاً مِنَ المَجْدِ إلاّ وَ الّذي نِلْتَ أطوَلُ

وقول أبي نواس :وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحه في قولُ كثّير في عبد العزيز بن مروان :

مَتَى مَا أقلْ فِي سَالِفِ الدّهرِ مَدْحَةً فَمَا هِي إلاّ لابنِ لَيْلَى المُعَظّمِ

ولما أنشد أبو تمام أحمد بن أبي داؤد قصيدته:

سَقَى عَهْدَ الحِمَى صَوْبُ العِهَادِ وَرَوَى حَاضِر مِنْهُم وَ بَـادِي

وانتهى إلى قوله:

وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَـاقِ إلاّ وَمِنْ جَدْواكَ رَاحِلَتِي وَ زَادِي

مقيمُ الظنّ عندك والأماني وإن قلقَتْ رِكابي في البِلادِ

قال له (ابن أبي دؤاد): هذا المعنى لك أو أخذته؟ قال :هو لي وقد ألممت فيه بقول (أبي نواس):

وَإنْ جَرَتْ الألفَاظُ يَوْماً بِمَدْحِهِ لِغَيْرِكَ إنْسَاناً فَأنْتَ الذي نَعْنِي"[28]

5 ـ مالا يحكم فيه بأخذ ولا سرقة: في الأمور التالية

5 ـ1 ـ التنحيل:

وهو أن يعطي الشاعر "شعر نفسه لغيره دون أن يعلم المنحّل أو يرضى ،لأنّه لو علم لكان مرافدة كما فعل ابن الرُّومي عندما قال شعراً ونحله بشاراً فهذا ليس سرقة لأنّه إعطاء والسرقة أخذ، ثم إنّ التنحيل كالانتحال ليس نصين تصلح المقارنة بينهما وإنّما هو نص واحد "[29] ،فالشاعر الذي يُخلَ له الشعر لا يعتبر سارقاً عند (الحصري) مادام هناك رضا بين الشاعرين،وهو يختلف عن ظاهرة الانتحال التي ظهرت في العصر الجاهلي بسبب التعصب القبلي، وهو أن ينسب الشاعر شعر غيره إليه، أو كما "صنع الرُّواة عندما كانوا يضعون أبياتاً من عندهم وينسبونها كذباً وزوراً إلى الشعراء الأقدمين ليشعلوا نار الفتنة، أو ليكسوا أخلاق الشاعر القديم أو قبيلته مجداً، أو ليغيروا الحقيقة تفكهاً، هذا عُد نوعاً آخر من الاختلاف هو وضع الشعر للاستشهاد به على ألفاظ الكتاب المنزل والحديث والفقه،وتفسير علوم الآداب وتعليل قواعد النحو و الصرف ."[30]

فالانتحال للشعر لم يلاحظ فقط عند الشعراء بل تعدت هذه الظاهرة إلى الرُّواة من أجل أهداف خاصة بهم.

5 ـ2 ـ المعنى المشترك:

نقصد به العام عند جميع فئة البشر أو هو المعنى العادي" الذي يستوى النّاس في مشاهدته والإحساس به."[31]فهذا المعنى هو ملك للعامة كلٌ يعبر عنه بما يشاء ولا يُعتبر حكراً على أحد كما اهتم أبو هلال العسكري اهتماماً شديداً "بالسرقات و وضع لها فصلين أحدهما (حسن الأخذ) والآخر في(قبح الأخذ)، وإن عُدّ (أبو هلال) جامعاً ومرتباً لآراء سابقيه فقد توسع أكثر من سابقيه."[32]ومن آرائه.

- " أنّ المعاني المشتركة ملك للعامة.
- إيمانه بتوارد الخواطر.
- أنّ لا مفر للمحدثين من أن يستفيدوا من سابقيهم في المعاني.
- تفريقه بين السرقة و السلخ ،جاعلاً أساس التفرقة أخذ اللّفظ مع المعنى أو تركه .

أما الأخذ القبيح (السرقة) يكون في أخذ المعنى بلفظه كاملاً أو جزءاً منه أو أنّ يأخذ المعنى جميلاً ثم يفسده."[33]أي يأخذ اللفظ و المعنى دون تغيير عليهما.

ونذكر من نماذج المعاني المشتركة " تشبيه الوجود بالدنانير كما في قول المعذل:

كَأنَّ دَنَانِيرا عَلَى قَسَمَاتِهِم إذَا المَوتُ فِي الأبْطَالِ كَانَ تَحَامِيَا

قال الحصري : كأنّ دنانيرا على قسماتهم نظير أبي العبّاس الأعمى :

فِي حُلُومٍ إذَا الحُلُومُ اسْتَفزّتْ وَ وُجُوهٍ مِثْلَ الدَنَانِيرِ مَلْسٍ

ونظيره هنا دلالة على عدم حكمه بالسرقة. "[34]

ومن المعاني المشتركة كل المعاني المستهلكة كقول أعرابي في الرثاء:"

وَ بَعدّك لا آسَى لِعِظمِ رَزِيةٍ قَضَيتَ فهَونتَ المَصَاعِبَ أجْمَعاَ

قال الحصري : ومعنى هذا البيت تداوله النّاس نظماً و نثراً."[35]

ومن المعاني المشتركة الادعاءات المجردة من التعليل والتدليل فإذا ادّعى مثلاً أبو تمام أنّ شعره خال من المعنى المعاد واللّفظ المكرر، ثم جاء البحتري وادّعى هذه الدعوى فلا يجوز أن نقول كما قال الحصري: أخذ هذا من هذا."[36] فالسرقة لا تكون إلاّ في الكلام الذي يتضمن خلاله قيمة أدبية، ومفهومها "ينزاح باختزال المسافات عبر الأفاق التي يتخيلها الأديب."[37] فالأدبية هي دمج مصطلحات لخلق معنى مقصود نريد إبلاغه للمتلقي.

وقد يدخل الأخذ في المعنى المشترك إذا "وجدت قرائن ترجح أن هذا المعنى المشترك مأخوذ من نص واحد معين، كأنّ توجد ألفاظ مشتركة بين النصين أو مترادفات، مثال ذلك قول منصور النمري يصف سيفه:

وَتَرَاهُ مُعتماً إذ جَرّدتُــه بِدمِ الرّجَالِ عَلَى الأدِيمِ الفَاقِعِ

قال الحصري : يُشير إلى قول أبي الطيب وذكر سيفاً :

يَبِسَ النجيعُ عَلَيْهِ فَهُو مُجَرّد مِنْ عُمِدِهِ وَ كَأنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ

فكلمة " مجرد" مشتركة بين البيتين ،و"دم الرجال " يرادفها (النجيع)، و(كأنّما هومغمد) يدل على معناها (وتراه معتماً).

فكل هذا يدل على أنّ أبا الطيّب أخذ هذا المعنى المشترك من قول منصور بالذات إلاّ أنّ الأولّ جعله معتما بالدماء ،والثاني جعله مغمداً."(38)

ومثل قول أبي حية النميري :

" فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَمسُ وَاتقَتْ بِأَحسن مَوصُولَيْنِ كَف وَمُعْصَم

قال الحصري أخذه من قول النابغة الذبياني:

سَقَطَ النَصيفُ وَلَمْ تَرِدْ إسْقَاطهُ فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَقَتْنَا بِاليَدِ

فكلمتا (الشمس) و(اتقت) لفظان مشتركان ،وكلمة (كف) يطابقها في شعر النابغة (يد). "(39)

5 ـ 3 ـ الإتباع في المنهـج :

أو احتذاء المثال أو التأثر حيث أشار الحصري إلى نماذج كثيرة من أمثلة الاحتذاء.

فقال عن بشار بن برد :"إنّه أستاذ أبي نواس يحتذيه في الأشعار التي وصف بها ترك الشراب ،

وطاعته لأمر الأمين فهو يصب على قالبه ،ويترسم خطاه حيث استحسن الحصري هذا الإتباع في المنهج."(40) فدقة المنهج للأديب تزيد في توهج المعنى وإبلاغه حيث صار الأديب مهتما "بدراسة المنهج لا دراسة الأدب نفسه....واتُخذت من نصوص الأدب و سائل بها تعرف نجاعة هذه المناهج."(41)

أي أن المنهج و الأدب يسيران جنبا إلى جنب في كل زمان و مكان، وقال مرة عن أبي نواس(أستاذ النّاس في هذا الشأن) والأستاذية تعني أن من أتى بعد أبي نواس قد اقتفى أثره وانتهج دربه في وصف الخمر."(42)

ومن باب الاحتذاء ما أورده الحصري بقوله : "إن الأضبط بن قريع كان سيّداً في بني سعد وكانوا يشتمونه ويؤذونه فانتقل إلى حي من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم فقال : حيثما أوجه ألْقَ سعداً، فذهبت مثلاً، قال أبو تمام:

فَلا تَحْسَبَنَ هِنداً لَهَا الغدْرُ وَحْدَهَا سَجِيَة نَفْسِ كُلُّ غَانيةٌ هِنْدٌ.

فكلمة " كلّ غانية هند" على منهج "حيثما أوجه ألق سعداً."(43)

و قد يكون أبو تمام احتذى الكلمة التي أطلقها الأضبط مثلاً،وقد "يكون ولدّ هذا المعنى من غير احتذاء لهذا المثل بذاته لأن هذا المنهج أسلوب دارج بين العرب ... وعلى هذا قال أبو الطيّب:

وَكُنْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيــه لِعِلْمِي أنّهُ بَعْضُ الأنَــامِ

يعني ببعض الأنام قوله:

وَلَمَا صَـارَودُّ النّاسِ خِبّا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بِابْتِسَام

"(44)

فهذه الوجوهُ التي أوردناها لا يعتبرها الحصري سرقة ولا يحكم عليها بأخذ أو أنّها اتبعت منهجاً واحداً.

6- خاتمــة:

دعا الحصري الى توظيف الأسلوب البديعي و الأسلوب المسجوع ، ذلك أنّ الأسلوبين الأخيرين سمة بارزة في كتابه " زهر الآداب "، فالحصري لم يكن يصيغ طريقة واحدة، أو يلتزم بأسلوب معين، و إنما كان يعجب بكل جيد من كل مذهب، و يختار ما يستجيده من كل نوع أدبي شائع(45) بحيث المقام هو الذي يجعله يوظف ما يريد خاصة فيما يخص قوة النّص في البلاغة العربية، وتبقى عملية الإنشاء الأدبي ليست عملية بسيطة للغاية، إنها عملية معقدة لها أبعاد غير محدودة ومتشعبة، و الماهر بالكتابة و التأليف هو الذي يجوب في هذه الأبعاد قدر استطاعته.

7- قائمة المصادر و المراجع:

1) أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصري القيرواني . زهر الآداب وثمر الألباب . دار الفكر العربي ج1. ط2. ص107.
2) الرُّماني و الخطابي وعبد القاهر الجرجاني . ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي . تحقيق :محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام .دار المعارف بمصرط3. القاهرة.
3) ظاهر محمد الزواهرة . التناص في الشعر العربي المعاصر،التناص الديني نموذجاً(ب ط)(ب ت).
4) عبد الحميد العمري وأخرى، سحر الأدب إلى النهضة و بلوغ الأرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
5) عمر إدريس عبد المطلب . نظرية الأسلوب عند ابن سنان لخفاجي . دراسة تحليلية في النقد و البلاغة ،دار الجنادرية للنشر و التوزيع . 2009.
6) عمر إدريس عبد المطلب . نظرية الأسلوب عند ابن سنان لخفاجي . دراسة تحليلية في النقد و البلاغة ،دار الجنادرية للنشر و التوزيع . 2009.
7) فهد خليل زايد . الأساليب العصرية في تدريس اللّغة العربية . دار يافا العلميةط1. 2011. عمان . الأردن .
8) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب ،عن:الدار العربية للكتاب . ليبيا تونس . 1981.
9) محمد حجازي، محاضرات في الأدب المعاصر، ظاهرة الغموض في الخطاب المعاصر،ط1،دط، 2016.
10) محمد مرتاض . النقد الأدبي القديم في المغرب العربي . نشأته و تطوره حتى القرن السادس الهجري . دار هومه، الجزائر .2015.
11) ممدوح محمود يوسف حامد . ملامح النقد عند الرواة وأثرهم في النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري . دار جليس الزمان . ط 1 . 2010. عمان . الأردن .

8- الهوامش و الإحالات:

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصري القيرواني . زهر الآداب وثمر الألباب . دار الفكر العربي ج1. ط2. ص107.
(2) نفسه . ص107.
(3) نفسه . ص 307.
(4) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب ،عن:الدار العربية للكتاب . ليبيا تونس . 1981ص528.
(5) نفسه، ص 528.
(6) عمر إدريس عبد المطلب . نظرية الأسلوب عند ابن سنان لخفاجي . دراسة تحليلية في النقد و البلاغة ،دار الجنادرية للنشر والتوزيع . 2009. ص140.
(7) عمر إدريس عبد المطلب . نظرية الأسلوب عند ابن سنان لخفاجي . دراسة تحليلية في النقد و البلاغة ،دار الجنادرية للنشر والتوزيع . 2009. ص141.
(8) نفسه ، ص141.
(9) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب وثمر الألباب، ص 529.
(10) ثهلان: جبل في عالية نجد
(11) فهد خليل زايد . الأساليب العصرية في تدريس اللّغة العربية . دار يافا العلميةط1. 2011. عمان . الأردن . ص 61.
(12) نفسه، ص529.
(13) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وزهر الآداب . ص 529.
(14) ممدوح محمود يوسف حامد . ملامح النقد عند الرواة وأثرهم في النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري . دار جليس الزمان . ط 1 . 2010. عمان . الأردن . ص 52.
(15) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص 520 و 521.
(16) الرُّماني و الخطابي وعبد القاهر الجرجاني . ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي . تحقيق :محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام .دار المعارف بمصرط3. القاهرة . ص104.

(17) الحصري . زهر الآداب وثمر الألباب . ج1. ص 51و52.

(18) الحصري . زهر الآداب وثمر الألباب . ج1. ص 51و52.

(19) ظاهر محمد الزواهرة . التناص في الشعر العربي المعاصر،التناص الديني نموذجاً(ب ط)(ب ت). ص41.

(20) محمد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص242.

(21) ظاهر محمد الزواهرة . التناص في الشعر العربي المعاصر،التناص الديني نموذجاً(ب ط)(ب ت). ص41.

(22) محمد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص242.

(23) نقلاً عن:محمد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص242.

(24) محمد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص242 و 243.

(25) نقلا عن: المرجع نفسه، ص243.

(26) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص 524.

(27) محمد مرتاض . النقد الأدبي القديم في المغرب العربي . نشأته و تطوره حتى القرن السادس الهجري . دار هومه، الجزائر 2015. ص142 و143.

(28) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص 266.

(29) محمد لطفي جمعة ، الشهاب الرا صد، دط ،د ت ، ص212.

(30) محمد سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص 266.

(31) ظاهر محمد الزواهري . التناص في الشعر العربي المعاصر . التناص الديني نموذجاً . ص 25.

(32) محمد مرتاض . النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، ص142 و143.

(33) ظاهر محمد الزواهري . التناص في الشعر العربي المعاصر . التناص الديني نموذجاً . ص 25.

(34) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص 268.

(35) نفسه . ص 268.

(36) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب . ص 270.

(37) محمد حجازي، محاضرات في الأدب المعاصر، ظاهرة الغموض في الخطاب المعاصر،ط1،دط، 2016،ص16.

(38) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب ، ص271 و272.

(39) نفسه، ص 171و272.

(40) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب، ص 275و276.

(41)عبد الحميد العمري وأخرى، سحر الأدب إلى النهضة و بلوغ الأرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص30.

(42) محمد بن سعد الشويعري . الحصري وكتابه زهر الآداب، ص 275و276.

(43) نفسه، ص275و276.

(44) نفسه ، ص 276.

(45) نفسه، ص797.